الإبداع اللفظي في شعر نزار القباني – نماذج مختارة

Verbal Creativity in Nizar Qabbani's Poetry - Selected Models

نعيمة بن ترابو[1]، عمار شلواي[2]

[1]نعيمة بن ترابو جامعة بسكرة -الجزائر(مخبر اللسانيات واللغة العربية)، naima.bentrabou@univ-biskra.fr

[2]عمار شلواي جامعة بسكرة -الجزائر(مخبر اللسانيات واللغة العربية)، a.chelouai@univ-biskra.fr

تاريخ الاستلام: 2021/08/04 تاريخ القبول: 2021/08/30 تاريخ النشر:2021/12/20

ملخص: تحاول هذه الدراسة الكشف عن أهم مظهر من مظاهر الإبداع اللفظي الذي اتسم به شعر "نزار قباني"؛ فقد تميز وعرف بخلق لغة جديدة كسرت قيود اللغة والمعجم، استطاع بواسطتها التعبير بحرية عن أحاسيسه ومشاعره، بلغة بسيطة توسطت العامية والفصحى، سماها (اللغة الثالثة)، فكانت له وسائل متعددة في سبيل خلقها؛ كالاقتراض والاشتقاق (على المستوى الصرفي)، واستخدام ألفاظ عامية، وهذا ما حاولنا إبرازه من خلال نماذج مختارة كشفت جمالية لغة "نزار قباني" الفنية واللغوية.

كلمات مفتاحية:إبداع،ألفاظ،اشتقاق،لغة، نزار قباني.

Abstract: This study attempts to reveal the most important aspect of verbal creativity that characterized Nizar Qabbani's poetry. He was distinguished and known for creating a new language that broke the restrictions of the language lexicon, through which he was able to freely express his feelings in a simple language that mediated the colloquial and formal language, which he called (the third language), he used multiple means in order to create it, such as borrowing and derivation (at the morphological level), and the use of colloquial words, and this is what we tried to highlight through selected models that revealed the aesthetics of NizarQabbani's artistic and linguistic language

Keywords: Pragmatic; Brevity; Delete; Palace; Rhetoric; Nizar Qabbani

المؤلف المرسل: نعيمة بن ترابو، naima.bentrabou@univ-biskra.dz

1. مقدمة:

اللغة والشعر أكثر الوسائل التي يعتمدها العرب لتسجيل أمجادهم وثقافاتهم في كل عصر وبيئة؛ فهي ترجمان لما يجول في خواطرهم، ومن طبيعة اللغة التغيير والتطور حسب مقتضيات ومستجدات كل عصر «لأن اللغة تتحول وتتفاعل مع الوسائط الاجتماعية والفكرية والسياسية التي تنمو في كنفه، وأن ملامح التغيير ملامح آلية (ميكانيكية)، لا يتحكم فيها الشاعر، وإنما تفرض عليه ضمن سياق حركية المجتمع»(حبيب، 2008، صفحة 246)؛ لذا نجد اختلافا بين لغة العصر الجاهلي مثلا وما يليها (صدر الإسلام، والعصر الأموي والعباسي).

فاللغة في صراع دائم بين متطلبات كل عصر وبين غيرها من اللغات بحكم المجاورة والاستعمار، وتبادل الثقافات إلى جانب لغة الاستعمال اليومي (العامية).

ونحاول في هذا المقال بحث إشكالية التجديد في اللغة الشعرية ووسائلها من خلال تسليط النظر على وسائل الإبداع في لغة الشعر عند نزار قباني؛ الذي اخترنا شعره مدونة تطبيقية نسعى مقاربتها دلاليا، كما نتغيا الوقوف على مدى أثر تلك الوسائل على لغة الشعر المعاصر دلاليا وجماليا.

2. لغة الشعر المعاصر:

بما أننا اخترنا شعر "نزار قباني" نموذجا للدراسة، فسنتحدث عن لغة الشعر المعاصر و«عندما تتحدث عن النص الشعري المعاصر فإننا لا نعزله عمّا ينتجه هذا المتن من تشكيلات دلالية في سياقاته»(القضماني، 2006، صفحة 371) المختلفة، والملاحظ أن اللغة الشعرية في القصيدة المعاصرة قد «هبطت على أرض الواقع بعد أن انتقلت من لغة الكتب والتراث إلى لغة الحياة المعيشة، لتبحث عن مادة تعبيرية متصلة بالحياة»(القضماني، 2006، الصفحات 374-375)، هذا فيما يخص اللفظ أو المعنى، ولأن «لكل شاعر من الشعراء طريقته الخاصة في صياغة النص، كل حسب تصوره، ومقدرته على الخلق والإبداع والتألق»(خذري، 2012، صفحة 15)، كما أن « اللغة عرضة للإضافة والتغيير في البنية والمعنى، مما ينعكس بدوره على اللغة الأدبية وهي الساحة الحقيقية للتفاعل اللغوي »(الدُّرة، 2009، صفحة 3).

« واللغة الشعرية تظل عملا مستقلا عن كل قيود دلالية ومعجمية موحدة، وهنا تُعلى الفردية والذاتية التوليدية في مجال اللغة بحيث يصعب رصد معجم واحد، للدلالات الشعرية لكونها نابعة من متغير يؤمن

بالسكون والثبات »(حبيب، 2008، صفحة 68)، وهنا تكمن قدرة كل شاعر على الإبداع وتميز عن غيره « وأيا كان هذا الجديد، لقد اعتبرنا دوماً أن الشعر لا يكون شعراً بدون تجربة روحية، وبدون رؤيا، وبدون ثقافة بدون التزام (بالمعنى الناصع للكلمة)، كما اعتبرنا أن الشعر لا يرقى إلى مرتبة الشعر إن لم يكن فيه الكثير من العرب ولغتهم وروحهم الشعرية؛ فلا شعر عربي إلا في إطار شاعرية اللغة العربية ولإحداثه إلا في الواقع المحلي والموضوعي للشاعر »(فاضل، 1984، صفحة 16).

لا شك أن كل شاعر أو أديب يمتلك لغة وأسلوبا خاصا به، « فالمتميزون من الشعراء على امتداد تاريخ الشعر العربي، هم الذين خلقوا لغتهم؛ والخلق هنا لا يعني المجيء بمفردات من خارج معاجم اللغة وقواميسها، وإنما هو إيجاد نسق خاص بالعبارة، تنتظم وفقه المفردات، ويكون متوائما مع النسق العام للقصيدة، وكلما كان هذا النسق متفرداً بخصوصيات تميزه عن غيره، دل على قدرات غير عادية لدى مبدعه »(الحميد، 2015، صفحة 157)، فالشاعر أكثر هؤلاء المبدعين ميلا إلى الابتكار والتجديد؛ ذلك أن «الرغبة التي تمتلك الشاعر في الابتكار والجدة، قد تأخذ بشعره بعيداً فيجتاز به السبل المألوفة في التعامل مع اللغة ومفرداتها، والسعي إلى الارتفاع باللغة عن عموميتها وإعطائها سمة خاصة به من غيره من الشعراء الذين سبقوه، أو عاصروه، لأن لغة الشعر تضع منطقها الخاص بها وتخلق وجودا متميزا لها»(القضماني، 2006، الصفحات 374-375).

ومن مميزات القصيدة المعاصرة أنها جعلت اللغة تهبط على أرض الواقع، بعد أن انتقلت من لغة الكتب والتراث إلى لغة الحياة المعيشة لتبحث عن مادة تعبيرية متصلة بالحياة، مادة أقل (فخامة) وأكثر (دنيوية) لتتمثل في هذه المادة حالة وظائفية محضة فاختلقت بذلك مفردات معينة وعرة، ومفردات فخمة رنانة ومفردات رومانسية هامسة، وبذلك تكون القصيدة قد ألغت عناصر لغوية قديمة لتستعيض عنها بعناصر جديدة مبتكرة وحولت الاحتفاء الفائق باللغة بذاتها إلى احتفاء بلغة الحياة بما فيها من انكسارات، وثم تحول مهم في قيمة المتن اللغوي »(الدُّرة، 2009، صفحة 34).

3. التجديد عند نزار قباني:

منذ البداية انتبه "نزار قباني" إلى أهمية التجديد رافضاً التقليد، وكان أول ما شغل باله "اللغة"؛ إذ يقول: «أوّل ما شغل بالي حين بدأت أكتب هو اللغة التي أكتب بها، وبالطبع كانت هناك لغة، بل لغة عظيمة ذات إمكانيات وقدرات هائلة، لكن اللغويين فرضوا عليها احتكار رهيبا وأقفلوا عليها الأبواب و

منعوها من الاختلاط والخروج إلى الشارع، كانت اللغة (أملاكا خصوصية) واللغويون (جمعية منتفعين)، وكانت الفتوى بشرعية كلمة أو تعريب مصطلح علمي أو تقني، تستغرق المجامع اللغوية ثلاث سنوات من التنجيم والاستخبارات ... والألوف من كؤوس الشاي و محلول البابونج »(قباني، صفحة 300)، ومن هذا المنطلق قرر "نزار" أن يتحرر من هذه القيود كلها، ويتمرد ، ويؤسس لغة ومعجما شعريا ونثريا خاصا به، إذ يقول: « لغتي الشعرية هي المفتاح الحقيقي لشعري، وأهم منجزاتي أنني سافرت من القاموس، وأعلنت عصياني عن مفرداته وأحكامه البوليسية، اللغة الأكاديمية زجاجة صمغ؛ أي إنها مادة شديدة الالتصاق، والذين استسلموا لها من الشعراء غرقوا في الصمغ أو صاروا صمغاً».

فقد لاحظ "نزار" أن العربي عكس غيره يتعامل بلغة مخالفة للغة التي يدرس بها، ويكتب بها، فكان يعاني من ازدواجية مرهقة؛ فمع اللغة الفصحى « كانت العامية في الطرف الآخر نشيطة متحركة متشابكة بأعصاب الناس وتفاصيل حياتهم اليومية، بين هاتين اللغتين كانت الجسور مقطوعة تماما، لا هذه تنازلت عن كبريائها ذلك، ولا تلك تجرؤ على طرق باب الأولى والدخول في حوار معها، ومن هنا كنا نشعر بغربة لغوية عجيبة بين لغة نتكلمها في البيت وفي الشارع، وفي المقهى، ولغة نكتب بها فروضنا المدرسية »(قباني، الصفحات 486- 487).

فما كان على نزار إلا أن يعقد الصلح بين اللغتين، و يؤسس معجما ولغة خاصة به، وذلك بالجمع بين عراقة اللغة العربية ومرونة العامية، ليتخلص من تلك الازدواجية التي كانت تشطر أفكارنا وأحاسيسنا وحياتنا نصفين »(قباني، صفحة 301)؛ فخلق لغة له "لغة ثالثة" إذ يقول: «لن يصل بي الغرور إلى الحد الذي أزعم به أنني (اخترعت) لغة، فاللغة ليست أرنبا يخرج من قبعة الحاوي، ولكني أسمح لنفسي بأن أقول إنني طرحت في التداول لغة موجودة على شفاه الناس ولكنهم كانوا يخافون التعامل بها »(قباني، صفحة 303)؛ فاللغة كائن يتحول ويتفاعل مع الوسائط الاجتماعية والفكرية والسياسية التي تنمو في كنفها، وملامح التغيير هذه تصبح آلية (ميكانيكية) لا يتحكم فيها الشاعر وإنما تفرض عليه ضمن سياق حركة المجتمع »(حبيب، 2008، صفحة 246).

فليس عيبا أن نكسر بعض الحواجز والقيود التي وضعها اللغويون وفرضتها المعاجم، ما دمنا نتواصل باللغة التي نتربى عليها ونتعامل بها فنزار كان يهدف: «إلى إعادة شحن تجارب الشاعر العربي المعاصر؛ من خلال المعايشة الواقعية والميدانية للغة، داخل إطار بنية المجتمع أين تتنامى الرؤى وتتولد الثورات وتخلق

الفاعلية التعبيرية التي طالما ظلت حبيسة لغة المعاجم؛ فحين خرج الإنسان العربي في مطلع العشرينات من غرفة التخدير بدأ يستعيد وعيه الوجودي والسياسي، ويسترد تفكيره المحجوز عليه، أدرك أن وضعه الجديد يحتاج إلى كلام جديد، وأن الخروج من عصر الانحطاط لا يكون إلا بالخروج من ثياب عصور الانحطاط (...) وقبل كل شيء من لغة ومفردات عصور الانحطاط »(حبيب، 2008، صفحة 246)؛ لذا جاءت لغة نزار لغة تمزج بين الفصحى وعراقتها ومرونة وحركية العامية، وامتازت بالسهولة والمباشرة والبعد عن الغرابة والغموض مع إقراره بعظمة اللغة العربية وعراقتها.

4. وسائل الإبداع اللفظي عند "نزار قباني":

من أهم الوسائل التي اعتمدها "نزار" للإبداع والتميز في شعره خصصنا الكلام عن الاشتقاق واستخدام العامية والمصطلحات الأجنبية أو ما يسمى بالاقتراض.

1.4. توظيف اللغة العامية:

إن الشاعر العربي المعاصر يحس دائما أن ثمة أشياء تند عن التحديد والوضوح؛ ومن ثم فإن هذه اللغة العادية بمحدوديتها وتناهيها عن استيعابها والتعبير عنها، ومن هنا كان سعيه الدائب وراء اكتشاف لغة تتسع للتعبير عن هذه الأحاسيس والمشاعر اللامحدودة، ويعد التعدد اللغوي من جملة الوسائل التي اعتمدها الشاعر المعاصر للتعبير عن أحاسيسه ومشاعره، فكانت اللغة العربية الفصحى والعربية العامية أو المحكية حاضرة في قصائده (بومالي، الصفحات 200-201).

فلغة الحياة اليومية هي لغة فصحى تمتاز بالسلاسة والبساطة والوضوح والإيحاء والدلالة، إلى جانب ما تحمله من أساليب تقريرية، وهتافات خطابية، وتتكون من مفردات المعجم اللغوي الذي يتفاهم به الناس، فهي لغة تحمل كل هموم الإنسان اليومية والبسيطة(الشيخ، 2005 ، صفحة 125)، وقد كانت الدعوة إلى اللغة العامية في الشعر العربي مثلا صدى لدعوة إليوت (T.S.ELIOT) بضرورة استخدام لغة الحياة والابتعاد عن اللغة المجنحة، والتي كان لها صدى عالمي أفاد منه شعراؤنا(بومالي، صفحة 201)، وقد أصبح توظيف اللغة اليومية في الإنتاج الشعري مصدراً للتجديد والتعبير، وفي هذا السياق يقول أحمد عبد المعطي حجازي: لقد ثرنا على اللغة الشعرية التقليدية؛ لأنها تحولت من عملة ممسوخة زائفة لا تحمل أي معنى، وحين نادينا بالعودة إلى لغة الحياة اليومية، لم يكن قصدنا أن ننظم بلغة أكثر شيوعاً أو قربا من عامة

الناس كما يخيل للبعض، إنما كان القصد أن نقلب مستويات اللغة كما يفعل الفلاح بمحراثه ليقلب الأرض (الصباغ، صفحة 115).

وكان لاستخدام العامية في الشعر العربي الحديث أسباب عدة منها:

أسباب عامة وتتمثل في أن اللغة التقليدية جامدة وعاجزة عن مواكبة الحياة الجديدة.

- محاولة تأسيس بلاغة جديدة لصيقة بالواقع والحياة اليومية، خاصة بعد أن صار الشعر أكثر تعبيرا عن الحياة، وصار الشاعر واحداً من الناس العاديين.
- أصبح الشاعر يعبر عن الحياة بكل ما فيها من مألوف عادي، ولا يحس بأنه ينزل بالشعر من أبراجه العالية، بل صار هو والشعر يمشيان على الأرض بين الناس ويجولان الأسواق (الصباغ، صفحة 153)، ومن منطلق أن الشعر لا قاموس له؛ عد الكثيرون أن استعمال اللغة العامية يعد ملمحا من ملامح التجديد في الشعر المعاصر، هذه الظاهرة التي كانت في بدايتها مع كل من "حسن شفيق المصري" و"بيرم التونسي" (فؤاد، 1998، صفحة 241).

ومن جهة كان "نزار قباني" يرى بضرورة تطور لغة الشعر وّأساليب الكتابة بصفة عامة، واعتماد عناصر جمالية جديدة، بعيدة عن التعبيرات البلاغية القديمة التي استهلكت، وفقدت جمالها وإيجابية تأثيرها.

كما يسمي اللغة العربية باللغة المتعجرفة بناء على شعوره بالغربة اللغوية بين الفصحى والعامية، ويصف لنا هذا الازدواج المتوهم فيقول: «هذه الازدواجية اللغوية التي لم تكن تعانيها بقية اللغات كانت تشطر أفكارنا وأحاسيسنا وحياتنا نصفين، لذلك كان لابد من فعل شيء لإنهاء حالة الغربة التي نعانيها، وكان الحل هو اعتماد لغة ثالثة تأخذ من اللغة الأكاديمية منطقها وحكمتها ورصانتها، ومن اللغة العامية حرارتها وشجاعتها وفتوحاتها الجريئة» (قباني، الصفحات 301-302).

وقد طغى معجم الألفاظ العامية على كثير من قصائد "نزار قباني"، وكان استخدامه لها ذا طابع مميز حتى أصبحت من خصائص لغة شعره ومن ذلك قوله:

كرمال هذا الوجه والعينين.
قد زارنا هذا العام مرتين.

وزارنا النبي مرتين(القباني، 1999، صفحة 763).

فاستخدامه لكلمة (**كرمال**) كان أكثر وقعا ومعنى من استخدام مرادفاتها الفصيحة "لأجل"، وجاءت عفوية معبرة كما استخدم في القصيدة نفسها (**زارنا النبي مرتين**)؛ فزارنا النبي هنا تعبير عامي يدل على قدر وقيمة الضيف الرفيعة.

ونجد مثل ذلك في قوله:

أتاني باكيا.
ويا ليتني حين أتاني باكيا.
فتحت أبوابي له ... وبسته.
وبسته ... وبسته(القباني، 1999، صفحة 725).

فقد استغنى نزار عن اللفظة الفصيحة "قبلته" واستخدام اللفظة (**بسته**)؛ لما فيها من رقة ولطف فهي في هذا السياق أكثر دلالة وتأثيرا من قبلته.

ويقول في موضع آخر:

تنمو لكآباتي غصون، ولأحزاني يدان.

فادخلي في كنزة الصوف ... ونامي(القباني، 1999، صفحة 21).

فكنزة الصوف كلمة عامية أكثر دلالة على الدفء فلو قال مثلا (رداء) لما أدت المعنى ذاته.

وقد يستخدم "نزار قباني" المفردة العامية ليدل على تفاهة المشبه في مثل قوله:

رهنوا الشمس لدى كل المرابين
وباعوا بالملاليم القهر(القباني، 1999، صفحة 491)

فكلمة (**ملاليم**) دلت على الثمن البخس،هذه بعض النماذج إلى جانب ألفاظ أخرى كثيرة كـ (برم الشوارب، حلوة الحلوات، طوابير، جزمة، وقبقاب، والكرباج، تخت...إلخ).

والمتتبع لشعر نزار يجده لا يتردد في استخدام العامية في قصائده، وكان من بين أهدافه أن ينزل بلغة الشعر ليصل لأكبر عدد من القراء بمختلف مستوياتهم.

والجدير بالذكر أن العديد من النقاد عدوا استخدام لغة الحياة اليومية يمثل عجزا في القصيدة، وابتعادا عن اللغة الشعرية الصحيحة؛ نعم فهذه اللغة تتجاوز البلاغة القديمة، واللغة العامية لغة كأي لغة فيها الجميل الرقيق، و فيها الخشن الذي يبدو فظا غليظا ، و الناس العاديون في حياتهم اليومية يستطيعون استخدام لغة رقيقة أو استخدام لغة فظة ،فقيمة اللغة و جمالها يعودان إلى طريقة استخدامها فهي أداة تتلون و تتشكل بطابع الإنسان الذي يستخدمها(الصباغ، صفحة 115)، ولا حرج في استخدامها.

ومن أبرز المعارضين لتوظيف اللغة العامية في الشعر المعاصر دعاة النقد المنهجي الذين رفضوا العامية،وردوا بعنف على دعاة العامية وفرقوا بين الطبع والتكلف في الشعر.

2.4. توظيف المعرب والدخيل:

رغم امتلاك اللغة العربية ثروة لغوية ومفردات غزيرة كثيرة الدلالات والاستعمال، إلا أنها لا تستغني عن اقتراض الألفاظ وخلق المفردات بما يمكنها من مواكبة تطورات العصر وكذا عدم قدرتها على مقاومة تأثير اللغات الأخرى، فاللغات منذ القدم يستعين بعضها ببعض تحت ما يسمى بالاقتراض اللغوي، هذا الأخير الذي يكون نتيجة حتمية لأسباب عديدة كالمجاورة والاستعمار والهجرة والعلاقات الاقتصادية وغيرها، وقد يكون نتيجة الحاجة وهو ما تقوم به المجامع اللغوية، واللفظ المقترض نوعان معرب ودخيل.

أ–المعرب: يعد التعريب أهم وسائل نمو اللغة وتكثيرها(العبود، 2007، صفحة 23)، وأحد مظاهر تطورها ولم تكن العربية بدعا عن اللغات الحية ... وهذا الأمر حتمي يقع في كل لغة حية ويكون نتيجة الحاجة أو الاختلاط وأثره معروف في ثقافة أهل كل لغة يقع فيها الدخيل وقد عرف بقولهم: «هو أن تتفوه العرب بالكلمة الأعجمية على منهاجها»(خسارة، 2008، صفحة 241).

فالتعريب هو عملية تُخضع المصطلح الأجنبي إلى قواعد اللغة العربية؛ فأثناء تعريب كلمة لا نكتفي بترجمتها فقط وإنما نقوم بتغيير بنيتها، بأن نضيف لها الياء والتاء في آخرها مثل: ديمقراطية وعسكرية .... وتثنية المصطلح وجمعه وتعريفه أي إخضاعه للقياس العربي.

ب–الدخيل: عرف اللفظ الدخيل بأنه: «لفظ دخل العربية من اللغات الأجنبية بلفظه أو بتحريف طفيف في نطقة»(خليل، 1985، صفحة 202)، وما هو ملاحظ أن أغلب الألفاظ الدخيلة متعلقة بالمحسوسات كأسماء الألبسة والأطعمة وشؤون المعيشة.

والدخيل نوعان: نوع له نظير في اللغة العربية، ونوع ليس له نظير فيها و«يبين العلماء أن دخول ما ليس له نظير في العربية مبرراً بالحاجة إليه؛ فإن دخول الذي له نظير لا تبرره إلا عوامل الاحتكاك اللغوي»(الحباس، 2006، صفحة 155).

ورد في الشعر العربي الحديث نماذج كثيرة عن المعرب والدخيل، نظرا للكثير من الدوافع والأسباب المتصلة بالعوامل المؤثرة في هذا التجديد في ذات الوقت، وقد كان لدعوة "إليوت" كما ذكرنا سابقا، أثرها على الإنتاج الشعري الحديث؛ سعى الشعراء إلى الاقتراب من الواقعية اللغوية وذلك بتوظيف المفردات القريبة من لغة التعامل اليومي، وهو ما سمح بتوظيف المعرب والدخيل في أشعارهم في سبيل تقريب اللغة الشعرية إلى أكبر عدد من القراء بمستوياتهم المختلفة؛ حتى وإن لاقى استعمالهم هذا الرفض والاستهجان من قبل النقاد.

أما "نزار قباني" فقد آمن بأن اللغة لا تأتي أو تولد من القاموس؛ إنما تستمد من الحياة اليومية بما فيها من بساطة، محاولا التخلص من اللغة المهجورة التي لا يصل إلى معناها إلا بجهد وبأمثلة كثيرة نجدها في المعاجم، فصنع لنفسه ولشعره لغة خاصة ممزوجة بلغة الحياة اليومية، بما فيها تلك الألفاظ التي لا تمت بصلة إلى العربية، وحجته في ذلك أنها مفهومة معروفة لدى الخاصة والعامة، فلم يجد حرجا من استخدام الألفاظ الدخيلة والمعربة في سياقات كثيرة، والتي تنوعت لتشمل أسماء المدن وأسماء الشخصيات والأكل واللباس، وهذا ما يرجع إلى ثقافة الشاعر الواسعة (فقد كان يتقن اللغة الفرنسية والإنجليزية والإسبانية).

فنجد بعض قصائده تحمل عناوين بألفاظ دخيلة مثل **"ماينكور"**(القباني، 1999، صفحة 219)، وهي كلمة إنجليزية "Manicure"، ومقابلها في اللغة العربية (طلاء الأظافر)، لكن نزار آثر اللفظة كما هي معروفة ومستخدمة من طرف عامة الناس.

كما جاءت إحدى قصائده بعنوان **"كم الدانتيل"**(القباني، 1999، صفحة 280)، وهي كلمة دخيلة تعني نوع من القماش، ومن بين القصائد كذلك: **"سمفونية على الرصيف"**(القباني، 1999، صفحة 54).

إذ وردت كلمة(سمفونية) وهي كلمة معربة من أصل إنجليزي "Symphony"، وذلك بإضافة الياء والتاء في آخرهما ... والشيء نفسه بالنسبة إلى قصيدة "**المايوه الأزرق**"(القباني، 1999، صفحة 230)، وهي في الغالب كلمة فرنسية "Maillot".

فكان "نزار": «لا يأنف من استخدام الألفاظ الأجنبية في السياق، فنلاحظ تعلق هذه الألفاظ دون أن يكون لها مسوغ مما جعل النص ينحدر إلى النثرية والجفاف التعبيري، ولم يكتف بذلك بل كررها في المقطع الواحد »(المجالي).

ولعل كثرة هذه الألفاظ في شعر "نزار قباني" التي لم يتحفظ ولم يتردد في توظيفها مرده سعة ثقافة الشاعر التي تنوعت بتنوع رحلاته حول العالم (بسبب طبيعة عمله)، وقد استطاع فعلا أن يطوع النص ويجعله أكثر مرونة ليزرع فيه كلمات دخيلة ومعربة شاعت في الاستعمال اليومي، فيقول في قصيدة نهر الأحزان:

هل أحل عنك ... وقصتنا
أحلى من عودة نيسان
أحلى من زهرة غاردينيا
في عتمة شعر إسباني.(القباني، 1999، صفحة 405)

فكلمة (**غاردينيا**)هي اسم نوع من الزهور، وهي كلمة إنجليزية الأصل وقد استعملها "نزار قباني" ليصف جمال المرأة شديدة البياض في عتمة شعر إسباني، كما وردت كلمة " نسيان " التي تمثل شهر "أفريل" أو "أبريل".

وهي في أصلها لفظة بابلية، وتمثل أول شهر في السنة البابلية؛ وتعني البدء والتحرك أو انطلاق الشيء.

هكذا عمل نزار على«تفعيل تلك الاهتزازات والتحركات إبداعيا من خلال لغة شعرية يعطيها هوية العصر؛ لأن العملية الإبداعية لا يمكن أن تأخذ صفة الإبداع إلا عندما تدخل في صراع مستمر مع اللغة التي يكتب بها»(حبيب، 2008، صفحة 251).

3.4. توظيف مشتقات جديدة:

يعد الاشتقاق في اللغة العربية «أهم قاعدة توليدية، فهو عملية تحويلية داخلية تطرأ على الجذر فتنقله إلى بنية جذعية فعلية أو اسمية خاضعة لأنماط صيغة ذات معنى»(دحماني، 2004، صفحة 63)، وقد عرفه "ابن جني" بقوله: «أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة وتركيب ليدل على معنى الأصيل بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفتا حروفا أو هيئة كـ (ضارب) من (ضرب)، أو يقال: هو تحويل الأصل الواحد إلى صيغ مختلفة لتفيد ما لم يستفد بذلك الأصل فالمصدر (ضَرْبٌ) يتحول (ضَرَبَ) فيفد حصول الحدث في الزمن الماضي »(الجني، صفحة 133)، وقد اشتق العلماء من كلام العرب الكثيرة من المصطلحات وسموا ما لم يكن له اسم في اللغة.

ونحن هنا نخص الاشتقاق الأصغر الذي«يمثل قاعدة مهمة من قواعد تطوير العربية؛ ذلك أن قابليتها للنمو بهذه القاعدة موضع إجماع اللغويين في القديم والحديث، ولهذا لم ينقطع استخدامها في أي مرحلة من مراحل تطور العربية»(النصراوي، 2010، صفحة 101)، وقد اشترط لصحة الاشتقاق ثلاثة عناصر أساسية:

1. الاشتراك في عدد الحروف (في العربية ثلاثة حروف غالبا).
2. أن تكون هذه الحروف مرتبة ترتيباً واحدا.
3. أن يكون بين هذه الألفاظ المشتقة من الجذر الواحد قدر من الدلالة(خليل، 1985، صفحة 78).

نجد "نزار قباني" في الكثير من المواضع يستحدث اشتقاقات لم تشر إليها لمعاجم، متجاوزا في ذلك القواعد التي وضعها اللغويين وحددها المعجميون ونجد ذلك مثلاً في قوله:

والبسمة النعماء فوق مبسم.
مسترطب، تخجل منه السكرة(القباني، 1999، صفحة 122).

ويقول:

والقدم الصغيرة
الحافية المسترطبة(القباني، 1999، صفحة 233).

فسيتحدث لفظة (**استرطب**)، وقد وظفها في أكثر من موضع؛ وهي اشتقاق خاص بنزار كما يبدو لأن المعاجم لم تشر إليه، وتدل على طالب الرطوبة، هذه الدلالة التي تحققت من حروف الزيادة (الألف والسين والتاء) التي تدل على الطلب إذا دخلت على الفعل المجرد مثل: استغفر، أي طلب الغفران.

ويستفيد الشاعر كذلك من دلالة حروف الزيادة (الألف والسين والتاء) في تحقيقها معنى الطلب، فيولد لفظة جديدة يثري بها قاموسه اللغوي وهي لفظة (**أستفكر**) التي يبين السياق أنها مرادفة لأتذكر فيقول: **"أنا ما عدت أستفكر"**(القباني، 1999، صفحة 616).

كذلك استحدث لفظة (**أشف**) على صيغة "أفعل"، فهو اشتقاق خارج عن القياس اللغوي أصلها (شف) الذي يعني رقَّ؛ أي صار شفافاً يرى ما تحته، وهو من الأفعال التي يتعذر اشتقاق أفعال التفضيل منها مثل: مات، غرق، دخل ...؛ لذا يحتاج المتكلم للدلالة على المفاضلة في هذه الحالة على فعل مساعد مثل (أكثر)، فالأصل أن يقول الشاعر (أكثر شفافية من الضوء) لكن موسيقى الشعر حالت دون ذلك.

فأوجد لنفسه صيغة غير مستعملة في العربية لتحقيق مقاصده وها هي جرأته اللغوية تسمح له مرة أخرى بتوليد صيغة (أفعل التعجب) من الفعل (صبح) بمعنى أشرق يقول:

"زُر مرة ما أصبَحكَ"(القباني، 1999، صفحة 109).

وهو هنا يقصد كم أنت صبوح الوجه، أو مشرق الوجه.

ويواصل "نزار قباني" كسر قيود اللغة، وتحطيم أغلال القاعدة، ليشتق ما يشاء، بالصيغة التي يشاء، ويجمع الألفاظ كما يشاء؛ فالكتابة عنده تحرر، والمتصفح لمجموعته الكاملة يصادف الكثير من الألفاظ التي لا تنسب لغيره، ولا تنتمي لغير قاموسه، من هذه الألفاظ مثلا: لفظة (**تشاويق**)، في قوله: **"ليلات ذرذرنا تشاويقنا"**(القباني، 1999، صفحة 40).

وهو يقصد أشواقنا ومفردها شوق، لكنهُ يستعمل الجمع (**تشاويق**) من الفعل (شوَّق) والمصدر منه تشويق وهو استعمال خاص بنزار.

خصائص لغة نزار ومميزاتها:

حاولنا من خلال هذه الدراسة ومن خلال الاطلاع على ما قدمه "نزار قباني" سواء في الأعمال النثرية الكاملة أو من خلال الأعمال الشعرية؛ أن نستنتج خصائص لغته التي اختلف وانفرد بها عن غيره فجاءت كالآتي:

1. التعامل مع الكلمات الساخنة والطازجة والمعجونة بلحم الناس وأعصابهم ووقائع حياتهم اليومية، وهذا ما جعله يتجاوز الفصحى ومعجمها إلى استخدام العامية(قباني، صفحة 302).

2. قتل من المفردات ما هو مقتول فعلا، أي المفردات التي تصلبت شرايينها، وتخشبت مفاصلها ولم تعد قادرة على المشي أو الكلام(قباني، صفحة 487).

3. يستخدم الكلمات في سياقات ومعان متعددة؛ فالكلمة المفردة مستقلة عن التراكيب صعبة الفهم، لأن الوحدة المعجمية في الديوان هي غير الوحدة في المعجم المشترك، فهي موسومة بسياقها الجديد، إذ قد يعبر (الموت) عن وجه من وجوه الحب، وقد ترمز الحرب إلى الحرية(سحيمي، الإيقاع في شعر نزار قباني، صفحة 35).

4. معجمه محدود، وهو ما يقرره "نزار" نفسه بما لا يزيد عن ألف كلمة أما الكلمات الأساسية في شعره فهي تقارب مائتي كلمة، لذا كان في شعره نوع من التكرار يصل إلى حد إعادة الصيغ أو الجمل أو المفردات ذاتها.

5. لم تتأثر لغته باللباقة الرسمية والوقار الذي كان يفرض عليه كونه موظفا في السلك الدبلوماسي لسنوات عدة، بما كان يفرض عليه عمله من تهذيب مصطنع وجدية مفتعلة.

6. استخدام الألفاظ العامية والأجنبية حبا للمفاجأة وتحديا للغة، إرادة إثبات قدراته الفنية على توظيف الكلمات ما كان للقارئ أن يتوقعها وأنها تصلح للشعر ثورته باللغة، وإيثاره اللغة الأكثر التصاقا بالشعب والأقرب تناولا(طربية، صفحة 114).

7. استجابته لشرط التواصل من خلال استجابته للحظة التي تشغل القارئ العربي؛ لذا كان كلامه خاليا من أي تخطيط ذهني، بل كان عبارة عن فيض مستمر.

8. تخلص من كل قيد عروضي أو بلاغي أو إنشائي فلم يكن مهما بالنسبة إليه أن يكون بليغاً أو فصيحاً أو منشئا، بل كان يعنيه التواصل مع قلب القارئ وعقله(طربية، صفحة 111).

9. نفض الغبار عن الكلمات ومعانيها العالقة بها من سنين، التي سطرها هؤلاء اللغويين وثبتها المعجميون ليطلقها حرة، تحلق بين أسطر قصائده، دون عمل حساب للمعاجم التي أسرتها في بعض المعاني وهذا بإدخالها في سياقات مختلفة وجديدة.

10. استخدام الألفاظ المستفزة إلى أبعد الحدود (خاصة) في الشعر السياسي، أو الذي يحمل إيحاءات جنسية.

هكذا كان "نزار قباني" لا يزال يفتش عن الحرف التاسع والعشرين في الأبجدية العربية... الحرف التاسع والعشرون، هو الكنز المسحور الذي مات ألوف الشعراء قبل أن يكتشفوه، وسيموت ألوف من الشعراء على أمل اكتشافه»(صبحي، 1999، صفحة 25).

وهكذا كانت لغته بسيطة في متناول الخاصة والعامة؛ حتى وإن كان الأمر يستدعي التعدي على حرمة المعجم وقواعد اللغة، إن حقق هدفه الذي رسمه، وهو أن يجعل اللغة تهبط على أرض الواقع، بعد أن انتقلت من لغة الكتب والتراث إلى لغة الحياة المعيشة بمادة لغوية أقل فخامة(القضماني، 2006، صفحة 375).

واستطاع "نزار" خلال مسيرته مع الشعر – التي تزيد عن نصف قرن – أن يطور أساليب التعبير في الشعر الحديث، ويضيف إليه ألوانا جديدة مبتكرة في مبانيه ومعانيه، وتحققت له هذه الشهرة الواسعة نتيجة لاعتماده على لغة مميزة بسيطة فيها من لغة الحديث اليومي، فقد أخرج ألفاظ العادية إخراجا جديدا أظهر فيها جوانب دلالية وجمالية ما كانت ملحوظة من قبل.

أحمد الحميد. (2015). *نزار قباني بين السيميائيات والتلقي*. الكويت: مكتبة آفاق.

الحبيب النصراوي. (2010). *التوليد اللغوي في الصحافة العربية الحديثة*. إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث.

بوهرر هادي نهر حبيب. (2008). *تشكيل الموقف النقدي عند أدونيس ونزار القباني قراءة في آليات بناء الموقف النقدي والأدبي عند الشاعر العربي المعاصر*. (ط1، المحرر) إربد، الأردن: دار عالم الكتب الحديث.

جاسم محمد العبود. (2007). *مصطلحات الدلالة العربية، دراسة في ضوء علم اللغة* الحديث. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

جهاد فاضل. (1984). *قضايا الشعر الحديث*. بيروت، لبنان: دار الشروق.

حلمي خليل. (1985). *المولد في اللغة العربية، دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام*. بيروت، لبنان: دار النهضة العربية.

حمدي الشيخ. (2005). *جدلية الرومانسية والواقعية في الشعر المعاصر*. مصر: المكتب الجامعي الحديث.

حنان بومالي. (بلا تاريخ). *التعدد اللغوي في القصيدة المعاصرة*. المركز الجامعي، ميلة: الجزائر.

رضوان القضماني. (2006). *التوليد الدلالي في النص الشعري عند " نزار القباني " (الأعمال السياسية نموذجاً)، المجلد الثالث والسادس من الأعمال الكاملة، وقائع لندوة العربية عن الشاعر العربي " نزار القباني "*. دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، مكتبة الأسد.

رمضان الصباغ. (بلا تاريخ). *رمضان الصباغ في نقد الشعر العربي المعاصر ، دراسة جمالية*. الإسكندرية ، مصر: دار الوفاء دنيا الطباعة.

زكية السائح دحماني. (2004). توليد المصطلحات الجديدة بالتركيب الصرفي في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، دراسة نماذج من المصطلحات العربية من كتاب العشر مقالات في العين. *وقائع الندوة التي نظمها مشروع التونسي الفرنسي المشترك (CMCU 02 Fo208*، صفحة 63.

سمير سحيمي. (الإيقاع في شعر نزار قباني).

ضرغام الدُّرة. (2009). *التطور الدلالي في لغة الشعر*. عمان، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.

محمد الحباس. (2006). *محاضرات في فقه اللغة*. الجزائر: دار غبريني.

محمد طريبة. (بلا تاريخ). *نثر نزار القباني*. بيروت لبنان.

محي الدين صبحي. (1999). *الكيان الشعري عند نزار قباني، .* بيروت، لبنان،: دار الجيل.

مليكة خذري. (2012). *التوليد الدلالي في ديوان الشاعر محمد مهدي الجواهري، إشراف: محمد بوعمامة*. الجزائر: رسالة دكتوراه، جامعة باتنة.

ممدوح محمد خسارة. (2008). *علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية*. دمشق، سوريا: دار الفكر.

نزار القباني. (1999). *الأعمال الشعرية الكاملة ،ج1*. بيروت، لبنان: منشورات نزار القباني.

نزار قباني. (بلا تاريخ). *الاعمال النثرية كاملة ج7*. لبنان بيروت.

نعمات فؤاد. (1998). *خصائص الشعر الحديث*. مصر: دار الفكر العربي.